عقل المسلم
وقضايا العقيدة

إعداد الدكتور / عبد اللّه موسى يعقوب
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة ــ جامعة القصيم

من ١٠٨٣ إلى ١١٤٠

عقل المسلم وقضـايا العقيدة

عبد الله موسى يعقوب

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة- كلية الشريعة ـــ جامعة القصيم

البريد الإلكتروني: sdn1435@gmail.com

ملخص البحث:

العقل في اللغة يطلق على معان متعددة من أهمها: الحِجْر، الجَمْع، الْحَبْس، التَثَبت في الأمور، التميُّز، الفَهْم، المَسْك، الملْجَأ .

العقل اصطلاحا يطلق على أربعة معان: يطلق على الأداة الغريزية في الإنسان، وعلى العلوم التي يكتسبها الإنسان بتلك الأداة، وعلى العلوم الضرورية، وعلى العمل بمقتضى الشرع.

الصحيح في مكان العقل أنه له تعلق بالقلب والدماغ معا.

للعقل منزلته السامية والرفيعة في دين الإسلام بل هو إحدى الضرورات الخمس التي ما جاءت الشرائع إلا لتحصيلها وتكميلها.

العقل مخلوق من مخلوقات الله تعالى له مداركه المحدودة، ومجالاته المعلومة، وأنه في حاجة ماسة إلى الوحي ليهتدي به إلى كامل الصواب، وخاصة في قضايا الإيمان بالغيب.

العقل في قضايا العقيدة غير ملغي تماما، كما أنه لا يعتمد عليه وحده في معرفة كل ما يتعلق بها بل يستعان بالعقل في فهم نصوص الشرع وأمور العقيدة، وهي بفضل الله تعالى ليس فيها ما يناقض العقول السليمة.

لا يوجد أي تعارض بين القواطع النقلية الشرعية، والعقلية، وما قيل في ذلك إنما هو مجرد وهم والشريعة لا تأتي بما تحيله العقول، وإنما تأتي بما تحتار فيه العقول.

لا توجد ديانة كرمت العقل، ورفعت من شأنه مثل دين الإسلام. وما أشيع أخيرا من أن تعاليم الإسلام لا تتماشى ومقتضى العقل إنما هي مجرد دعوى من مغرضين لا يسندها الواقع ولا العقل السليم.

الكلمات المفتاحية:العقل ، المسلم ، قضايا ، عقيدة .

Muslim Mind And Issues Of Belief

Abdullah Musa Yaacoub
Department Of Contemporary Doctrines And Doctrines - Faculty Of Sharia - Qassim University
Email: sdn1435@gmail.com

Abstract:

The Mind in language are called Multiple meanings , Among the most important: Quarantine, Plural, Confinement, Verification in matters, distinction, understanding, grabbing, shelter.

The Mind in terminology refers to four meanings: it is called the instinctive tool in man, the science that a person acquires with that tool, the necessary sciences, and the work according to Sharia.

The correct place for the mind that it has attached to the heart and the brain together.

The mind has its supreme and high standing in the religion of Islam, It is one of the five necessities that did not come Sharia except to collect them and supplement them.

The mind is a creature of God Almighty who has limited awareness, and its known fields, and that it is in urgent need to revelation to guide him to the fullness of righteousness, especially in matters of faith in the unseen.

The mind in matters of doctrine is completely canceled, It also does not depend on him alone in knowing everything related to it, but uses the mind to understand the provisions of Sharia and matters of doctrine, which, thanks to God Almighty, have nothing to contradict sound minds.

There is no contradiction between the admissible legitimate transmission, and the mentality, and mental, and what was said about it is merely an illusion and the Sharia does not bring what minds refer, but rather what minds boggle.

There is no religion that honored the mind, and raised from Its value is like the religion of Islam. And what is finally rumored That the teachings of Islam are inconsistent with the imperative of reason It is just a suit of disinterested, it is neither backed by reality nor by a sound mind.

Key words: mind, Muslim, issues, doctrine.

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله ؛ نحمدُه ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهدِه الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هاديَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ﴿ يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران :١٠٢) ، ﴿ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوْا اللَّهَ الَّذِيْ تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً ﴾ (النساء :١) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب : ٧٠-٧١).

أما بعد :

فإن الإسلام قد أعلى من شأن العقل ورفع من مكانته فخاطبه بالتكاليف الشرعية وجعله مناط التكليف وأثنى على أهل العقول السليمة وخصهم بمعرفة مقاصد العبادة، والوقوف على بعض حكم التشريع ، فقال سبحانه بعد أن ذكر جملة من أحكام الحج : ﴿ واتقون يا أولي الألباب ﴾ ، وقال عقب ذكر أحكام القصاص : ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب ﴾ ، ثم إن الله سبحانه وتعالى قصر الانتفاع بالذكر والموعظة على أصحاب العقول ، فقال عز وجل : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ (يوسف : ١١١). وقال عز وجل : ﴿ ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ﴾ [العنكبوت: ٣٥]. ونوه الله تعالى من شأن أصحاب العقول ، وجمع لهم النظر في ملكوته، والتفكير في آلائه ، مع دوام ذكره ومراقبته وعبادته ، قال تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف

الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ... إلى قوله عز وجل: إنك لا تخلف الميعاد ﴾ ، إلى غير ذلك من النصوص المتكاثرة في كتاب الله عز وجل التي تحرض على إعمال العقل والاستفادة منه في قضايا الإيمان والشرع .

ولذلك فهذا بحث مختصر بعنوان (العقل المسلم وقضايا العقيدة قديما وحديثا) في قضية أظنها من أهم القضايا في هذا العصر الذي طغت فيه المادة والمحسوسات على كل شيء ، أقدم هذا البحث

أهمية الموضوع :

في نظري إن هذا الموضوع في غاية من الأهمية في ذاته وفي زمنه وفي مستقبل الدعوة إن شاء الله تعالى أما في ذاته؛ فهو متعلق بدور العقل في قضايا العقيدة، والعقيدة هي أس الإسلام ولبه وركيزته الأولى ، وأما في زمنه؛ فإن الإسلام اليوم يتهم من قبل أعدائه بأن قضاياه مخالفة لبدائه العقول ، وهناك من يقيمون التناقض بين العقل والشرع ويدعون أن الثقافة الإسلامية نقلية فقط لا عقلية ولا منطقية ويعتقدون أن جميع علماء الأمة بدون استثناء غير مؤهلين؛ لأنهم اعتمدوا على النقل وليس على التفكير، ومحاضرة من يسمونه بالبابا بندكس السادس عشر والتي كال فيها التهم جزافا على الإسلام والمسلمين التي تناقلته وسائل الإسلام المختلفة ليست من الأذهان ببعيد[١] .

١ / ألقى بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر محاضرة في جامعة ريجينسبورج بولاية بافاريا الألمانية الثلاثاء ٢٠٠٦/٩/١٢م كان عنوانها : (الإيمان والعقل والجامعة ذكريات وانعكاسات)، ودار مضمونها حول الخلاف التاريخي والفلسفي بين الإسلام والنصرانية في العلاقة التي يقيمها كل منهما بين الإيمان والعقل. ومن جملة ما ذكره البابا في حديثه : أن (الله) في العقيدة الإسلامية مطلق السمو ، ومشيئته ليست مرتبطة بأي شيء من مقولاتنا ، ولا حتى بالعقل ، ثم عقد مقارنة مع الفكر النصراني المتشبع بالفلسفة الإغريقية ، زاعما أن الفكر النصراني ينحاز إلى العقل ، ويرفض كل ما يتناقض معه ، ودلل على ذلك بما جاء في أول فقرة في سفر التكوين ، وهي أول فقرة في الكتاب المقدس : (في البدء كانت الكلمة)(١) ، ثم نقل عن الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني (١٣٥٠ـ١٤٢٥م) الذي دوّن كتاباً ضمنه محاورات جرت بينه ، وبين عالم مسلم أثناء احتدام الصراع مع الجيوش التركية التي كانت تعد العدة لإسقاط دولة بيزنطة ، وهو ما حصل بعد حوالي عقدين ، حيث يسأل الإمبراطور محاوره قائلا : (أرني شيئاً جديداً أتى به محمد ، فلن تجد إلا ما هو شرير ولا إنساني ، مثل أمره بنشر الدين الذي كان يبشر به بحد السيف) .

وبالمقابل أيضا ثلة ممن هم ينتمون إلى هذا الدين الحنيف استجابة منهم لهذا التشويش الذي يطلق هنا وهناك ؛ أنكروا كثيرا من مسلمات هذا الدين بحجة عدم تعقلهم لها، وأطلقوا العنان لعقولهم دون قيد ولا شرط، يتحدثون فيما لا يعلمون، ويهرفون فيما لا يعرفون دفاعا عن الإسلام زعموا، فشككوا عوام أمة الإسلام في أصول دينها، فهؤلاء لا للإسلام نصروا ولا للأعداء كسروا .

وأما فيما يتعلق بمستقبل الدعوة فإننا في حاجة ماسة إلى عرض الإسلام إلى غيرنا بصورة صحيحة مدعما بحجج عقلية منطقية مقنعة، وفي حاجة إلى دفع هذه الشبهات والتهم التي تكال جزافا على أمة الإسلام وكل ذلك لا يتأتى إلا ببيان دور العقل في قضايا العقيدة الإسلامية وأن عقيدتنا الإسلامية ليس فيها ما يناقض صريح العقول السليمة.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

١/ ما منزلة العقل في العقيدة الإسلامية؟

٢/ وما دور العقل في فهم قضايا العقيدة؟

٣/ وهل هناك تعارض بين العقل والنصوص الشرعية المتعلقة بالعقيدة؟

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن التساؤلات المثارة في مشكلته؛ من بيان لمنزلة العقل في الإسلام ودوره في فهم قضايا العقيدة، والإجابة عن فرضية تعارض العقل والنص الشرعي.

منهج البحث: سلكت في جمع مادة هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، فبالمنهج الاستقرائي حاولت جمع النصوص الشرعية وكلام العلماء التي لها تعلق بالعقل، وبالمنهج التحليلي قمت بشرح تلك النصوص وتحليلها واستنباط ما يجيب عن مشكلة البحث للوصول إلى نتائج علمية موثقة بتلك النصوص.

خطة البحث :

حاولت جاهدا لملمة أطراف هذا البحث من خلال الخطة التالية:

المقدمة : وهي هذه وفيها؛ أهمية الموضوع وسبب اختياره وهدفه ومنهجه وخطته.

التمهيد: وفيه: تعريف العقل لغة واصطلاحا ومحله، وتعريف بالعقيدة وقضاياها .

المبحث الأول: معان العقل في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: منزلة العقل في الإسلام.

المبحث الثالث: العقل والوحي وقضية الإيمان بالغيب.

المبحث الرابع: دور العقل في قضايا العقيدة.

المبحث الخامس: تقييد العقل وعدم الاعتداد به في غير مجاله.

المبحث السادس: درء تعارض العقل والنقل.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

التمهيد: تعريف العقل لغة واصطلاحا ومحله، وتعريف العقيدة وقضاياها.

حقيقة العقل في اللغة:

العقل في اللغة يطلق على معانٍ متعددة، سأكتفي منها بما يناسب هذا المقام:

١- الحِجرُ والنُّهَى[1] : ضِدُّ الحُمْق؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة:٤٤ .

٢- الجَمْعُ، يقال: (رَجُل عاَقِلُ) ، أي : جامع لأمره ورأيه ، مأخوذ من : (عَقَلْتَ الْبَعِيْرَ) إذا : جَمَعْتَ قوائمه. ومن هذا الباب قوله عليه الصلاة والسلام لصاحب الناقة: (أعقلها وتوكل على الله)[2].

٣-الْحَبْسُ، مأخوذ من قولهم: (قد اعْتُقِلَ لسانُهُ) إذا حُبِسَ ومُنِعَ الكلامَ .

٤- التَّثَبُّتُ في الأمور، يقال: (إنسان عاقل) أي : مُتَثَبِّتُ في أموره .

٥- التَّمَيُّزُ: وهو الذي يتميز به الإنسان من سائر الحيوان .

٦- الفَهْمُ، يقال: (عَقَلَ الشّيء يَعْقِلهُ عَقْلاً) إذا فهمه .

٧- المَسْكُ، يقال: (عَقَلَ الدَّواءُ بطْنَهُ يَعْقُلُهُ عَقْلاً) : أمسكه، وقيل: أمسكه بعد استطلاقه .

٨- الْمَلْجَأُ، يقال: (فُلان مَعْقِل لقومه) أي : هو مَلْجَأ لهم .[3] .

---

١ / لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، (بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى) ج١١، ص٤٥٨.

٢ / أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب القيامة ، باب رقم ٦٠ ، من حديث أنس رضي الله عنه ، وقال : هذا حديث غريب من حديث أنس ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقد صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم ٢٠٤٤ .

(٣) انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة : (عقل) ٥٤٦/١١ ، والصفحات التي بعدها ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت . وانظر أيضا : القاموس المحيط للفيروزبادي مادة (عقل).

وقال ابن فارس[١] في مقاييسه: عقل: العين والقاف واللام؛ أصل واحد منقاس مطرد يدل عظمه على حبسة في الشيء، أو ما يقارب الحبسة ، من ذلك العقل وهو الحابس عن ذميم القول والفعل)[٢].

وهذه المعاني كلها مجتمعةً تدل على أن (العَقْل) في مفهوم العرب ؛ هو العاصم الذي يعصم الإنسان . بعد توفيق الله تبارك وتعالى وهدايته . من الطيش والحمق والتسرُّع في الأمور دون روِيَّةٍ وأناة ، وذلك بما يضفيه عليه ذلك العقل من الوعي والإدراك الأمر الذي يقيه مخاطر الزلل والخطل .

حقيقة العقل في الاصطلاح :

صرَّح بعض الأصوليين بأنه من الصعوبة بمكان بيان حقيقة (العقل) من الناحية الاصطلاحية ، كما ذكر ذلك إمام الحرمين الجويني[٣] . رحمه الله تعالى . حين قال : (فإن قيل : فما العقل عندكم؟ قلنا: ليس الكلام فيه بالهيَن)[٤] .

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، من أئمة اللغة وأساطينها ، له فلسفته الخاصة في كتابه المقاييس ، كان شافعيا ، ثم صار مالكيا ، توفي سنة ٣٩٥ هـ، انظر ترجمته في: معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت الحموي ٨٠/٤ ، القاهرة . دار المأمون ، ط١٣٥٥.٢ هـ ، والديباج المذهب في أعيان المذهب لابن فرحون المالكي ١٦٣/١ ، ت/ محمد الأحمدي ابو النور . القاهرة . دار التراث ١٩٧٢م .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هرون ، ط/ دار الجيل . بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، ٩٤/٤ .

(٣) إمام الحرمين : هو أبو المعالي ، عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني ، ثم النيسابوري ، ضياء الدين ، الشافعي ، صاحب التصانيف ، ولد في أول سنة ٤١٩ هـ . قال أبو سعد السمعاني : كان أبو المعالي ، إمام الأئمة على الإطلاق ، مجمعا على إمامته شرقاً وغرباً ، لم تر العيون مثله توفي سنة ٤٧٨ هـ انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٨ ص ٤٦٨.

(٤) البرهان في أصول الفقه لعبد الملك بن عبد الله الجويني ، دار الأنصار بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ، تحقيق د. عبد العظيم الديب . ١١٢/١ .

ولعلَّ مَرْجع هذه الصعوبة؛ اختلاف اصطلاحات العلماء في تحديد معناه، نظراً لكونه اسماً مشتركاً يُطلق على عدد من المعاني، وهذا ما ترجمه الغزالي[١] ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله: (وكذلك إذا قيل : ما حَدُّ العقل ؟ فلا تطمع في أن تحدَّهُ بحدٍ واحد، فإنه هَوَس، لأن اسم العقل مشترك يطلق على عدة معانٍ ، إذ يطلق على بعض العلوم الضرورية ، ويطلق على الغريزة التي يتهيّأ بها الإنسان لدَرْك العلوم النظرية، ويطلق على العلوم المستفادة من التجربة حتى إنَّ مَنْ لم تحنّكه التجارب بهذا الاعتبار لا يُسمَّى عاقلاً، ويطلق على مَنْ له وقار وهيبة وسكينة في جلوسه وكلامه، وهو عبارة عن الهدوء فيقال: فلان عاقل أي فيه هدوء ، وقد يطلق على مَنْ جَمَعَ العمل إلى العلم حتى إنَّ المفسد وإن كان في غايةٍ من الكياسة يمنع عن تسميته عاقلاً... ، فإذا اختلفت الاصطلاحات فيجب بالضرورة أن تختلف الحدود)[٢].

ورغم هذه الصعوبة البالغة فقد اقتحم العلماء عُبابها، وولجوا أبوابها فذكروا حدوداّ تبيَن حقيقة (العقل) من الناحية الاصطلاحية ، وبعد سبر وتمحيص

---

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، الشافعي الملقب بحجة الإسلام، برع في الفقه وأصوله، وعلم الكلام له مصنفات عديدة فيها الغث والسمين من أشهرها أحياء علوم الدين والمستصفى ... وغيرها كثير غالبها في الفلسفة والمنطق مثل: تهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال ، ولد سنة ٤٥٠هـ ، وتوفي سنة ٥٠٥هـ . انظر ترجمته في: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري لابن عساكر الدمشقي ص ٢٩١ـ٣٠٦ . وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب السبكي ٩٦١/٦ .

(٢) المستصفى من علم الأصول . محمد بن محمد الغزالي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان . ٢٣/١ . وانظر : ذكرى العاقل وتنبيه الغافل لعبد القادر الجزائري ، موقع الوراق http://www.alwarraq.com .

لهذه الأقوال يمكننا القول : إن المقصود بالعقل في التصور الإسلامي أربعة معاني[١] :

المعنى الأول: الأداة الغريزية في الإنسان التي يدرك بها الأشياء على ما هي عليه من حقائق المعنى، ويسميها بعضهم (العقل الغريزي) فهو الطاقة الإدراكية في الإنسان . والتي يمتاز بها عن سائر الحيوان؛ فبها يعلم، وبها يعقل، وبها يميز، وبها يقصد المنافع دون المضار. يقول أبو حامد الغزالي عن هذا المعنى : (إنه الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية ، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية)[٢].

وهذه الغريزة، التي هي إحدى معاني العقل، شرط في المعقولات والمعلومات، وهي مناط التكليف؛ فإذا عدمت في الإنسان ، سقطت عنه التكاليف الشرعية . وضد هذه الغريزة الجنون، وكلام ابن تيمية[٣] رحمه الله تعالى عن الفرق بين المجنون والعاقل يشبه هذا الكلام، ومنه قوله : (فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس، ولا بين أيام الأسبوع، ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل . أما من فهم الكلام، وميز بين ما ينفعه وما يضره؛ فهو عاقل)[٤].

---

(١) انظر : مفهوم العقل لبروفسير جعفر شيخ إدريس مجلة البيان العدد ١٥٨ ، ٢٠٠١م ، ص٦١ .

٢ التذكرة الحمدونية لابن حمدون ٣٥١/١ .

٣ / هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي الفقيه، المحدث ، المفسر ، الملقب ب شيخ الإسلام ، أشهر علماء زمانه ، ولد في حران في ربيع الأول ٦٦١ هـ ، وانتقل به والده إلى دمشق سنة ٧٢٨ هـ ، وخلف آثاراً كثيرة مفيدة منها : منهاج السنة النبوية ، درء تعارض العقل والنقل ، الفتاوى الكبرى ... وغيرها . انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ١٤٨/٧ ، نشر : دار الحديث بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٤ / مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٩ /٢٨٧.

المعنى الثاني: ما توفره هذه الأداة الغريزية، وتلك الطاقة الإدراكية من حصيلة معرفية ، وخبرة وفكرة ويسميها بعضهم: العقل المكتسب، فهو نتيجة للعقل الغريزي ، وهو ينمو إن استعمل وينقص إن أهمل ، ويكون ضعيفا في مبتدأ العمر، فلا يزال يربو حتى تتم الأربعون ثم ينتهي نماؤه)[١] .

وهذا العقل يعد نتيجة للعقل الغريزي، وهو نهاية المعرفة ، وصحة السياسة ، وإصابة الفكرة . وليس لهذا حد؛ لأنه ينمو إن استعمل، وينقص إن أهمل، وعنه يقول الغزالي : (علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال ؛ فإن من حنكته التجارب ، وهذبته المذاهب ، يقال إنه عاقل في العادة ، ومن لا يتصف بهذه الصفة ، يقال : إنه غبي غمر جاهل . فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا)[٢]، ولقد كانت العرب تقول: (العقل : التجارب)[٣]، وقد سئل بعضهم عن العقل، فقال: لب أعنته بتجريب)[٤] .

يقول ابن القيم: والعقل عقلان: عقل غريزة: وهو أبُ العلمِ، ومربّيه ومثمرُه، وعقل مكتسب مستفاد: وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته، فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واستقام له أمره، وأقبلت عليه جيوش السعادة

---

(١) انظر : ذم تقديم العقل على النقل لبدر بن عبد الله بن عبد الكريم ، ط/ دار طيبة الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ، الصفحات (٢٨-٣٠) ، وانظر أيضا : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي حسن ١٥٨/١، مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ .

٢ / انظر : التذكرة الحمدونية لابن حمدون ٣٥٢/١ ، لم أعثر عليه مطبوعا ولكنني عثرت عليه بصيغة إلكترونية على الشبكة الإلكترونية على موقع موقع الوراق http://www.alwarraq.com

٣ / العقل وفضله لابن أبي الدنيا ، مصدر سابق ، ص ٥٢.

٤ / المصدر نفسه ص٦٢ .

من كل جانب، وإذا فقد أحدهما فالحيوان البهيم أحسن حالًا منه، وإذا انفرد انتقص الرجل بنقصان أحدهما)[١]

المعنى الثالث: العلوم التي تلازم الإنسان العاقل ؛ فتقع في نفسه ابتداء ، ولا تنفك عن ذاته ؛ كالعلم بالممكنات ، والواجبات ، والممتنعات .

وهذا معنى من معاني العقل ؛ إذ ثمة علوم تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز ، بجواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات ؛ كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد ، وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد ، وأن الشيء لا يخلو من وجود أو عدم ، وأن الموجود لا يخلو من حدوث أو قدم ، وأن من المحال اجتماع الضدين [٢] . وهذه العلوم تشمل جميع العقلاء .

المعنى الرابع: الأعمال التي يستوجبها العلم؛ من إيمان بالله تعالى، وتصديق بكتبه، ورسله ، والتزام بأمره ونهيه ؛ كحبس النفس على الطاعات ، وإمساكها عن المعاصي .

وهذا معنى رابع من معاني العقل، وعنه يقول ابن تيمية: (لفظ العقل يطلق على العمل بالعلم فالعمل من لوازم العقل ؛ لأن صاحب العقل إذا لم يعمل بعلمه ، قيل : إنه لا عقل له ، فإن العقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينية ، وأعظمها في الفطرة : الإقرار بالخالق .) [٣].

وقد وصف الله عز وجل في كتابه أناسا بالعقل، وأخبر في الوقت نفسه أنهم لم يستفيدوا منها ؛ فقال: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة

---

١ / مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١/١٧٧ .

٢ / انظر : المرجع نفسه .

٣ / انظر : مجموع الفتاوى ، مصدر سابق ١٦ / ٣٣٦.

الأحقاف الآية : ٢٦) . فهؤلاء قد عقلوا البيان الذي لزمتهم من أجله الحجة، لكنهم لم يعملوا بما عقلوا ؟ فحالهم أن لهم عقولا يعرفون بها الحق، ولكن هواهم صدهم عن اتباع موجب العقل، فلا عقل لهم بهذا الاعتبار[١] .

فالعاقل كما قال سفيان بن عيينة رحمه الله[٢]: (ليس الذي يعرف الخير من الشر ، ولكن العاقل الذي يعرف الخير فيتبعه ، ويعرف الشر فيجتنبه)[٣] . وقد حكى الله تعالى عن أهل النار قولهم – وهم في النار –: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (سورة الملك الآية : ١٠) . وقد كانت لهم عقول، وأسماع لزمتهم بها حجة الله عز وجل ، ولكنهم لما لم يستفيدوا من عقولهم في الانقياد لشرع الله تعالى ؛ كانوا بمنزلة من لا عقل له .

محل العقل ومكانه:

لقد اختلف العلماء في مكان العقل ومحله من جسم الإنسان فقالت الأحناف والحنابلة: إن العقل محله الدماغ ، أي الرأس ، ودليلهم أنه إذا ضرب الرأس ضربة قوية زال معها العقل ، وقالوا أيضا : إن العرب تقول للعاقل : وافر الدماغ ، ولضعيف العقل : خفيف الدماغ ، وهو محل الإحساس[٤] . ولهم أدلة أخرى ولكن هذا من أقوى ما استدلوا به[٥]،

---

١ / المصدر نفسه ١٦ /٣٣٧.

٢ / هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الكوفي الإمام الحافظ الحجة الفقيه ، ولد سنة ١٠٧هـ ، وتوفي سنة ١٩٨ هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/٤٥٤ .

٣ / ابن أبي الدنيا ، مصدر سابق ، ص ٥٩.

٤/ انظر : شرح الكوكب المنير ص ٢٤، ٢٥ .

٥ / انظر : الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ١٢/٧٧، وانظر أيضا: الأذكياء للإمام ابن الجوزي ص ٢ .

وقالت المالكية والشافعية: محله القلب، وعليه بعض الحنابلة، ونسب إلى الأطباء ودليلهم قول الحق تبارك وتعالى : (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب)؛ وجه الاستدلال : أطلق الحق تبارك وتعالى القلب هنا وأراد به العقل ، فدل على أن القلب محله ، لأن العرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له ، أو كان بسبب منه.

وقوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج:٤٦) ، فأضاف منفعة كل عضو إليه فمنفعة القلب التعقل ، كما أن منفعة الأذن السمع [1] . يقول الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: (وأسند التعقل إلى القلوب ؛ لأنها محل العقل ، كما أن الآذان محل السمع) ، قلت : ومثله في المعنى قوله تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩) . ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : (ذاكم فتى الكهول ، إن له لسانا سئولا ، وقلبا عقولا)[2].

والذي يترجح عندي والعلم عند الله تعالى: أن العقل له تعلق بالقلب والدماغ معا ، حيث يكون مبدأ الإرادة والقصد في القلب ، ومبدأ الفكر والنظر في الدماغ ، فالمريد لا يكون مريدا إلا بعد تصور المراد ، والتصور محله الدماغ ، ولهذا يمكن أن يقال : إن القلب موطن الهداية والدماغ موطن الفكر؛ لذا فقد يوجد في الناس من فقد عقل الهداية الذي محله القلب، واكتسب عقل

---

(١) انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ١٦٣/١ .

(٢) رواه الحاكم في مستدركه ٥٣٩/٣ ، كتاب معرفة الصحابة ، ذكر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . وقال الذهبي : منقطع .

الفكر والنظر الذي محله الدماغ ، كما قد توجد ضد هذه الحال[١] . وهذا القول وسط بين الأقوال، وفيه إعمال لأدلة الفريقين، وإعمال الأدلة كلها خير من تجاهل بعضها والله أعلم[٢]، وأيضا فإن استقرار العقل في القلب أو في الرأس أمْر خفي لا يمكن الاطلاع عليه، وما كان كذلك فالحكم فيه موقوف على الشارع ، والذي دلت عليه النصوص القرآنية الكريمة في ظاهرها أن العقل في القلب ، فيكون القول بمقتضى ذلك الظاهر أولى وأسلم .

ثم إن الذين نسبوا العقل إلى الرأس إنما نسبوه من قبيل أن العقل نور في القلب يفيض إلى الرأس، وكونه كذلك لا يدل على أن الرأس محل له ، بل إن الرأس يتأثر بنور العقل وإن لم يكن مستقراً فيه .

تعريف العقيدة:

تدل مادة عقد في اللغة على التصميم والعزم والصلابة، يقال: عقدت الحبل والبيع والعهد فانعقد، واعتقد الشيء أي اشتد وصلب، واعتقد كذا بقلبه، والمعاقدة: المعاهدة [٣].

أما في الاصطلاح: فقد اصطلح على إطلاق لفظ (العقيدة) على ما يعلمه الشخص ، ويعتقده بقلبه من أمور الدين .

---

(١) انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ١٦٣/١ . وانظر ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض الفلاسفة في الفتوى الحموية حيث قال عنهم : أوتوا ذكاء ، وما أوتوا زكاء ، وأعطوا فهوما ، وما أعطوا علوما ، وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة { فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون }، الفتوى الحمية الكبرى ص٩٠.

(٢) انظر : العقل عند الأصوليين د. علي بن سعد الضويحي ضمن منشورات مجلة جامعة أم القرى العدد ٢٠ .

(٣) انظر : لسان العرب مادة : عقد ٢٩٦/٣ ، والصحاح للجوهري مادة عقد ٤٨٤/١ .

ويطلق على هذا العلم أيضا: (أصول الدين)؛ لأن غيره ينبني عليه و(التوحيد)؛ لأن أعظم مسائله مسألة توحيد الله عز وجل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته ، و(الإيمان) حيث أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان بذكر الأصول الستة ، وهي الإيمان بالله ، وملائكته، وكتبه ، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره[١] . و (الفقه الأكبر) و(علم النظر والاستدلال) ...

تنبيه: لفظ (العقيدة أو الاعتقاد) ، لم يرد في القرآن الكريم مطلقا ، ولا في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما نعلم . ولم يرد في كتب اللغة مقصودا به المعنى الاصطلاحي المتعارف به في أصول الدين ، ومن هنا نقرر أن لفظ (الإيمان) أولى في الاستخدام ، وأوثق ، وأبعد عن اللبس والغموض من لفظ (العقيدة) ، وإن كان هذا اللفظ (عقيدة) قد صار شائعا ذائعا دائرا على ألسنة العلماء وأقلامهم بكثرة ، كما أنه قد صار مصطلحا راسخا ثابتا ، وعلى كل حال لا مشاحة في الاصطلاح كما قال علماؤنا ، وإنما أردنا مجرد التنبيه والتذكير فحسب [٢].

أصول العقيدة الإسلامية:

أصول العقيدة الإسلامية هي أصول الإيمان الستة التي ذكرها الله سبحانه في كتابه، وذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير ما موضع في سنته المطهرة .

قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (البقرة الآية :

(١) متفق عليه : رواه مسلم في الإيمان ، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة برقم ١٠٢ .

(٢) انظر : الإيمان .محمد عبد الله الشرقاوي ص ٧٧ .

١٧٧) ، وقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) (البقرة الآية : ٢٨٥) ، وقال تعالى : (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء الآية : ١٣٦) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر الآية : ٤٩) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب وأبو هريرة – رضي الله عنهما – ، وأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما حين سأله جبريل – عليه السلام – عن الإيمان فقال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[(١)]. ولهذه الأصول تفصيلات وتفريعات ليس هذا محل بسطها .

المبحث الأول: معان العقل في القرآن الكريم :

لم ترد مادة العقل في القرآن الكريم إلا على صيغة الفعل: عقلوه، تعقلون وورد من مرادفاته الحجر والنهى جمع نهية، كما ورد لفظ الألباب في عدة مواضع من القرآن الكريم[٢]. وعلى هذا فإن للعقل في القرآن معان بحسب نوع المعقول . أعني نوع الشيء المراد عقله وفهمه . من هذه المعاني :

أ/ فهم الكلام : مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة يوسف الآية : ٢) ؛ فبين أن السبب في جعله عربيا ؛ هو أن يفهمه ويعقله أولئك المتحدثون بهذه اللغة .

وقوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة الآية :٧٥ . ،

(١) سبق تخريجه .

٢ / الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد للعريفي ص٣٢.

ب/ عدم التناقض في القول قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (سورة آل عمران الآية : ٦٥). ، فالذي يقول : إن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا كأنه يقول : إن إبراهيم كان سابقا في وجوده لليهودية والنصرانية لكنه كان أيضا لا حقا لهما. وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ سورة الأنعام الآية : ٩١ . هذا الكلام موجه لليهود الذين يزعمون أنهم يؤمنون بنبوة موسى؛ فكأن الآية الكريمة تقول لهم إن من التناقض أن تقولوا إن الله أنزل التوراة على موسى ثم تقولوا : ما أنزل الله على بشر من شيء .

ج/ فهم الحجج والبراهين كما في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم:٢٨) ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [يونس:١٦] .

د/ موافقة القول للعمل قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ سورة البقرة الآية : ٤٤. ولذلك قال النبي الصالح: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود:٨٨.

هـ/ اختيار النافع وترك الضار سواء كان ماديا أو معنويا قال تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

سورة الأنعام الآية :٣٢ . وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ سورة الأنبياء : ١٠.

و/ التضحية بالمصلحة القليلة العاجلة من أجل مصلحة كبيرة آجلة : قال تعالى : (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (القصص: ٦٠) ، ويؤيد هذا آيات أخرى لم يرد فيها ذكر العقل ، منها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (التوبة:٣٨)

ز/ استخلاص العبر الصحيحة من الحوادث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [العنكبوب: ٣٥] يشير سبحانه وتعالى هنا إلى قرى قوم لوط التي قال عنها في آية أخرى مبينا عدم إدراك الكفار لمغزاها بسبب إنكارهم للبعث كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا) (الفرقان: ٤٠) .

ح/ استخلاص العبر مما جرى في التاريخ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٩) .

ط/ فهم دلالات الآيات الكونية قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل:١٢) .

هذه بعض المواضع في القرآن الكريم جاء فيها ذكر العقل، ولكن ينبغي أن يعلم أن بيان القرآن للمسائل العقلية، وإقراره لها ليس محصورا في الآيات التي ذكرت فيها كلمة العقل، فهنالك آيات يذكر ربنا سبحانه وتعالى فيها كلمات أخرى تشير إلى المقدرات العقلية بذلك المعنى العام الذي ذكرناه ، بل إنه يبدو أن كل سؤال استنكاري في القرآن يدل على أن المسؤول عنه أمر بدهي ما ينبغي لذي عقل أن يماري فيه .

المبحث الثاني: منزلة العقل في الإسلام .

إن الإسلام كرم العقل أيما تكريم؛ كرمه حين جعله مناط التكليف عند الإنسان، والذي به فضله الله على كثير ممن خلق تفضيلا، وكرمه حين وجهه إلى النظر والتفكير في النفس، والكون، والآفاق: اتعاظاً واعتباراً، وتسخيراً لنعم الله واستفادة منها، وكرمه حين وجهه إلى الإمساك من الولوج فيما لا يحسنه، واستطيع أن أقول جازما: ليس ثمة عقيدة تحترم العقل الإنساني وتعتمد عليه في ترسيخها كالعقيدة الإسلامية، وليس ثمة كتاب خاطب العقل وغالَى بقيمته وكرامته ككتاب الإسلام، ونظرة إلى آيات القرآن الكريم تلقى عبارات ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٧٣ ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يونس: ٢٤ ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ الأنعام: ٩٨ تتكرر عشرات المرات، مؤكدة المنهج القرآني الفريد في الاقتناع العقلي للإيمان، ويمكننا تفصيل بعض مظاهر هذه الجمل في الآتي[١] :

١/ أن العقل هو مناط التّكليف في الإسلام، وغيابه أو نقصَه مُسْقِطٌ له، كما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: (رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى

١/ انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ١٦٩/١ .

يستيقظ، وعن الصبيّ حتى يحتلم، وعن المجنون حتّى يعقل)[١]. بل إن العقلَ معيارٌ للتصرف في المال فقال تعالى: {وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً } النساء: ٥.

وقال تعالى: {وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ} النساء:٦ ، فمن كان رشيداً يحسن التصرف فإنَّه يحسن تصرفه بالمال، ومن كان سفيهاً فلا يجوز أن يُعطى المال.

٢/ العقل من الضرورات الخمس التي ما جاءت الشرائع الربانية إلا لتحصيلها وحفظها، ولهذا جاء كتاب الله حافلاً بصيانة العقل الإنساني، وحياطته من كل ما يُذهب فكره، ويُعطِّل مَلَكَته، فنهي عن تناول الخمر لما لها من تأثير بالغ على ذلك فقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} المائدة: ٩٠.

وبيَّن تعالى أنَّ الخمر له تأثير سيء على الناس بوقوع العداوة والبغضاء التي تجري بينهم، فمن احتسى ذلك وسكر وغاب عقله، فإنَّه لا غرابة أن يعتدي على الناس ويقع في ألوان المُحرَّمات والمعاصي، وذلك كلُّه مُفرح للشيطان الذي لا يريد للإنسان إلا الهلاك، ولهذا نهى تعالى عن الخمر فقال:{إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاء في ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ} المائدة:٩١.

---

١ / رواه أبو داود في اول كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا برقم ٤٣٩٨ ، والنسائي في كتاب الطلاق باب من لا يقع طلاقه من الأزواج برقم ٣٤٣٢ ، وإسناده صحيح.

وجعل الإسلام الدية كاملة في الاعتداء على العقل وتضييع منفعته بضرب ونحوه، قال عبد الله بن الإمام أحمد : سمعت أبي يقول : في العقل دية ، يعني إذا ضرب فذهب عقله ، قال ابن قدامة : (لا نعلم في هذا خلافاً)[١].

وفي الجملة فإن العقل من الضرورات الخمس التي ما جاءت شريعة الإسلام إلا لتحصيلها وتكميلها والمحافظة عليها، ودرء المفاسد عنها، وقد تحدث علماء الأصول والمقاصد بإسهاب في التشريعات التي شرعت في الإسلام من أجل المحافظة على العقل من جانب الوجود ، ومن جانب العدم مما يدل على مكانة العقل في هذه الشريعة المباركة[٢] .

٣/ لقد اعتبر الإسلام العقل من أهم الوسائل في تحصيل المعارف ومن أهم الأدوات الموصلة إلى معرفة الخالق والإيمان به؛ لأنه سبحانه وتعالى قد أقام الأدلة على وجوده من أصغر مخلوقاته كالذرّة إلى أكبرها كالمجرّة , وأقام الحجّة في الإنسان وفي السماوات والأرض وفي كل شيء في هذا الكون مما عظُم وحقُر, وشرُف ووضُع , وكبُر وصغُر, كل ذلك ليبيّن سبحانه لخلقه أن وجوده حق لا ريب فيه وأنه تعالى شهيد مطلّع على سرائر مخلوقاته لا تخفى عليه منهم خافية قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت ٥٣) . وما أكثر ما أرشد إليه القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة إلى إعمال العقل والتفكر في ملكوت الله مثل قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ) (الأعراف ١٨٥). وقد استأثرت دعوة القرآن إلى التعقل والتفكر باهتمام كبير، حتى بلغت الآيات التي احتوت على كلمتي (الفكر) و (العقل) من الكثرة بمكان. فقد تكرر لفظ(الفكر) في القرآن

---

(١) / انظر المغني لابن قدامة ٤٦٥/٨ .

(٢) / انظر في هذا : الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي رحمه الله تعالى .

بمختلف صِيغه ثمانِي عشرة مرّة، كما تكرر لفظ (العقل) بمختلف صيغه كذلك تسعا وأربعين مرّة مثل قوله تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) وقوله (أفلا تعقلون) وقوله (أفلا يتفكّرون)، وقوله أيضا (لعلهم يتفكرون). بل إن الإسلام قد أنكر على الذين عطّلوا عقولهم عن النظر فقال جلّ شأنه: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)(محمد ٢٤) وقال أيضا:(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ)(الأنفال٢٢). كما أن الدين جعل من عدم استعمال العقل سببا لعذاب الآخرة، قال تعالى في شأن الكفار (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) الملك, ١٠

٤/ خص الله أصحاب العقول بالمعرفة لمقاصد العبادة، والوقوف على بعض حكم التشريع ، فقال سبحانه بعد أن ذكر جملة أحكام الحج ﴿ واتقون يا أولي الألباب ﴾ (البقرة: ١٩٧) ، وقال عقب ذكر أحكام القصاص: ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب ﴾ [البقرة: ١٧٩].

كما قصر سبحانه وتعالى الانتفاع بالذكر والموعظة على أصحاب العقول، فقال عز وجل : ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وقال عز وجل: ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ [يوسف: ١١١]. وقال عز وجل: ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ﴾ [العنكبوت: ٣٥]. ، وبالمقابل؛ ذم الله عز وجل المقلدين لآبائهم ، وذلك حين ألغوا عقولهم وتنكروا لأحكامها رضاً بما كان يصنع الآباء والأجداد ، قال عز وجل: ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ [البقرة: ١٧٠-١٧١] .

ونستطيع أن نقول قولا عاما: أنه ليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني ، وتكريمه ، والاعتزاز به ، والاعتماد عليه ـ بعد توفيق الله تعالى ـ

في فهم النصوص كالعقيدة الإسلامية ، بل إن العقيدة الإسلامية تدعو العقل إلى تشغيل طاقاته ، وتستثيره ؛ ليؤدي دوره الذي خلقه الله من أجله ، وتنبهه ؛ ليتدبر ، ويتفكر ، وينظر ، ويتأمل مدللة بذلك على أن الدعوة إلى الإيمان قامت على الإقناع العقلي .

ويبدوا هذا واضحا في آيات كثيرة من كتاب الله الكريم تكررت عشرات المرات في السياق القرآني، مدح الله عز وجل من خلالها مسمى العقل ورفع من شأنه من خلال توجيهه إلى النظر والتفكر والتدبر والتأمل ؛ مثل قوله سبحانه وتعالى ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ سورة البقرة الآية ٧٣ ، وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة يوسف الآية : ٢) ، وقوله جل جلاله : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة النور الآية ٦١) . وقوله عز وجل: ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة يونس الآية ٢٤) ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (سورة الأنعام الآية ٩٨) ، ... وغير ذلك من الآيات إلى لا يمكن حصرها في مكان واحد.

المبحث الثالث : العقل والوحي وقضية الإيمان بالغيب .

المقصود بالغيب هنا كلُّ ما غاب عن الإنسان واقعًا وعقلاً، مثل الأمور المتعلقة بذات الله – تعالى – واليوم الآخر، والبرزخ، والبعث بعد الموت، والشفاعة، والصراط، والميزان، وخلود الدارينِ، والروح... وما شابهها من مسائل العقيدة الغيبية[١]. والإيمان هنا يعنى اليقين في كل ذلك. والمقصود

---

١ / ينظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ٨/٥٠٣.

بالعقل هنا العقل المكلف الباحث عن الحكمة والهدف والغاية (القلب أو اللب) .

وردت كلمةُ الغيب في القرآن الكريم ٤٨ مرة، تؤكِّد على أن الغيب لا يعلمُه إلا الله، وأن مِن صفات المؤمنين المتقين الإيمان بالغيب، من هذه الآيات قولُه – تعالى –:

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ البقرة: ٢، ٣.، ﴿ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ البقرة: ٣٣.، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ آل عمران: ١٧٩.، ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ الأنعام: ٥٠.، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُو ﴾ الأنعام: ٥٩.، ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ الأنعام: ٧٣. وغيرها من الآيات.

ومن السنة ما ثبت عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحدٌ ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر)[1] ، وفي حديث جبرئيل المشهور (أنه عليه الصلاة والسلام قال في جواب سائل سأله: متى الساعة؟ قال عليه الصلاة والسلام: ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة إبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... لقمان: ٣٤)[2].

---

١ / رواه البخاري في كتاب التفسير برقم ٤٦٢٧ .

٢ / متفق عليه؛ البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم برقم٥٠ ، ومسلم في كتاب الإيمان برقم ٨ .

والإيمـان بالغيـب يعتبـر النقطـة الفاصـلة بـين أهـل الإيمـان والإلحـاد؛ فـالمؤمنون يعتقـدون أن عـالم الوجـود أكبـر وأوسـع بكثيـر مـن هـذا العـالم المحسوس، وخالق عالم الوجود غير متناه في العلم والقدرة والإدراك، وأنّه أزليّ وأبديّ. وأنّه صمّم هذا العالم وفق نظام دقيق مدروس. ويعتقدون أنّ الإنسان بما يحملـه من روح إنسانية يسمو بكثير علـى سائر الموجودات. وأنّ الموت ليس بمعنـى العدم والفنـاء، بل هو مرحلـة تكامليـة فـي الإنسان، ونافذة تطل على عالم أوسع وأكبر.

بينما الإنسان المادي يعتقد أن عالم الوجود محدود بما نلمسه ونراه، وأن العالم وليد مجموعة من القوانين الطبيعية العمياء الخالية من أي هدف أو تخطيط أو عقل أو شعور. والإنسان جزء من الطبيعة ينتهي وجوده بموتـه، يتلاشى بدنـه، وتندمج أجزاؤه مرّة أُخرى بالمواد الطبيعيـة. فلا بقـاء للإنسان، وليس ثمّة فاصلة كبيرة بينه وبين سائر الحيوانات!

وإذا كان العقل يوقن بالمغناطيسية والكهربـاء وهو لـم يرهـا، ويـوقن بـالجاذبيـة والإلكترون وهو لم يرها أيضا، ولكن بمشاهدة الآثار تعرف على ما ورائـها من مؤثرات . فعندما يرى ذلك العقل ساعة أو جهازا معقدا، أو حتى عود ثقاب، أو دبوسـا؛ يـوقن بـأن هنـاك عالمـا خبيـرا حكيمـا عليمـا صنـع ذلـك وإن لـم يـره . وعندما يشاهد مبنى ضخما وفخما؛ يوقن أيضا بأن هناك مهندسا قديرا قد قام ببنائه، فكيف إذا رأي كونا يحيط به ، شديد الضخامة ، منظمـا وبديعا ، ورأى ما فيه من كواكب ونجوم ومجرات ... ، أو رأى المخلوقات التـي هي فـي غايـة من الصغر والدقة والتقدير كالذرات والموجات والجزيئات ، تحكمها قوانين غاية فـي العلـم والحكمـة والدقـة ، حتمـا سيوقن العقـل أن فـوق كـل ذلـك خـالق لـه صفات الكمال ، قيوم لا يغفل ، ولا تأخذه سنة ولا نوم .

فالعلم في الخلق يدل على أن الخالق عليم، والحكمة فيه تدل على أن الخالق حكيم ، واستمرار الخلق في نظام مضبوط بلا خلل يدل على أن الخالق قيوم . وعندما يشاهد العقل آيات الحكمة وميزان العدل والتوازن في صنعة الله يوقن بأن هذا الكون لم يخلق عبثا بل خلق لهدف وغاية عظيمة قال تعالى مخاطبا أولي الألباب : ﴿ ولِلَّـهِ مُلْكُ السماوات والأَرْضِ واللَّـهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إنَّ فِي خَلْقِ السماوات والأَرْضِ واخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ الَذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّـهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ ويَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السماوات والأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران : ١٨٩-١٩١)

ولقد تفرد القرآن الكريم بقيادة العقل المكلف على سلم الأسباب في عالم الشهود حتى إذا وصل إلى منتهاه أطل إلى عالم الغيب وكأنه يراه فيوقن ، فهو يأخذ بالعقل في رحلة في ظواهر ، ومظاهر الكون من حوله ، منشطا قناة العقل الباحثة عن الحكمة حتى لا يكتفي العقل بمشاهدتها ، وتسخيرها بل يتعرف على ما فوقها من هدف وحكمة وغاية ، فيوقن أن ذلك الكون المنظم البديع المتقن والمسخر للمخلوق المكلف ؛ لابد أن يكون من فوقه خالق له صفات الكمال ، وأن تلك الآيات لا يمكن أن تكون قد خلقت باطلا ، أو لهوا بل لابد أن تكون لهدف وغاية ، فيوقن العقل بالرسل تحمل رسالات الهدى للمكلفين ويوقن بيوم الحساب .

ويقدم القرآن للعقل المتقدم الحديث إشارات علمية تصف الكون من الذرة إلى المجرة، وصفا يتطابق مع ما وصل إليه العلماء بأدق وسائل التقنية المكتشفة بعد نزول القرآن بأكثر من ألف عام ، فيوقن العقل بأن القرآن كلام الخالق المحفوظ . قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ﴾ (الطور:٣٥-٣٦)

عن محمد بن جبير ابن مطعم، عن أبيه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ . أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴾ كاد قلبي أن يطير(١) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في فداء الأسارى ، وكان إذ ذاك مشركا ، وكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك)(٢).

وما نريد الوصول إليه هو أن العقل في قضايا الإيمان بالغيب غير ملغي تماما، نعم إنه بمفرده لا يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء الغيبية، ولكن هنالك إشارات كثيرة في عالم الشهادة تدل على أن من ورائها خالقا ، وهدفا ، وغاية ... فإذا انضاف إلى ذلك وحي السماء الذي جاءت به الأنبياء والمرسلون ؛ وصل العقل إلى اليقين ، والاطمئنان الذي كان يبحث عنه.

المبحث الرابع: دور العقل في قضايا العقيدة.

لم يطلب الإسلام من الإنسان أن يطفئ مصباح عقله ويعتقد هكذا اعتقادا أعمى من غير بينة ولا برهان، بل دعاه إلى إعمال ذهنه وتشغيل طاقته العقلية في سبيل وصوله إلى أمور مقنعة في شؤون حياته وقد وجه الإسلام هذه الطاقة بتوجيهات عدة لتصل إلى ذلك: فوجهها إلى التفكر والتدبر، في كتابه، قال تعالى (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) ص: ٢٩.

---

١ / رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير برقم ٤٤٧٦ .

٢ / تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ، ٤٣٧/٧ .

وإلى التفكر في مخلوقاته: كما قال تعالى (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: ١٩١] (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) ، وفي تشريعاته قال تعالى (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٧٩] وقال تعالى (وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: ١٨٤].

وحرص على قيام العلاقة بين العبد وربه على الوضوح العقلي في العقيدة والشريعة، ولهذا جاءت نصوص الشرع كلها مبرهنة برهانا عقليا ظاهرا واضحا، من أمعن النظر فيها وأعمل عقله بتجرد وحيادية سيصل إلى الحقائق الإيمانية التي أمر الله تعالى به عباده، ونلمح ذلك في عدد من الآيات القرآنية فنجد أحيانا التصريح بأن الله تعالى أرسل رسله بالبينات كما قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) البقرة: ١٨٥، وكما قال تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) الحديد:٢٥.

وأحيانا نجد التصريح بتضمن نصوص الوحي على البراهين العقلية مثل قوله تعالى في غير ما آية: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) الأنبياء:٢٤. قال ابن الوزير اليماني رحمه الله: (وَهَذِه الْآيَة دَالَّة على أَن كتب الله لَا تَخْلُو من الْبَرَاهِين الْمُحْتَاج اليها فِي أَمر الدّين)[١].

ومع ذلك لابد من القول بأن العقل لا يستقل بنفسه، بل هو محتاج إلى الشرع؛ إذ العقل غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن

---

١ / إيثار الحق على الخلق ص١١.

اتصل بـه نـور الإيمـان والقرآن كـان كنـور العين إذا اتصل بـه نـور الشـمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التـي يعجز وحده عن دركها، فهذا أحسن ما يمثل به في دور العقل في قضايا العقيدة.

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية هذه القضية، بقولـه: (... العقل شرط فـي معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلاً بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التـي فـي العين؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل بـه نـور الشمس والنار. وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية، قد يكون فيها محبة، ووجد، وذوق، كما قد يحصل للبهيمة. فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة. والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، ولم تأت بما يُعلَم بالعقل امتناعه، لكنّ المسرفين فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقاً، وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به، والمعرضون عنه صدّقوا بأشياء باطلة، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم)[١].

المبحث الخامس: تقييد العقل وعدم الاعتداد به في غير مجاله :

من تمام تكريم الإسلام للعقل إعماله فيما خلق له، وهيئ من أجله، وحجبه عن التهوك والخوض فيما لا سبيل له ولا قدرة عليه؛ ذلك أن العقل، مهما بلغ من العظمة والتألق في الحكمة والإبداع، هو ملكة من ملكات الإنسان، وكل ملكات الإنسان – بالخبرة التاريخية والمعاصرة – هي ملكات

---

١ / مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣/٣٣٨-٣٣٩).

محدودة وقاصرة[١]، تجهل اليوم ما تعلمه غدًا ، وما يقصر عنه عقل هذا يبلغه عقل ذاك الآخر ، وإذا كانت ميادين عالم الشهادة النفس والكون.. أي الدنيا مفتوحة على مصاريعها أمام العقل، وأمام التجربة بالنسبة للإنسان، فإن هناك ميادين، وخاصة في معارف عالم الغيب سبيل معرفتها النقل أي الوحي، فالهدايات التي يهتدي بها الإنسان هي: النقل والعقل ... وليست العقل وحده دون سواه.. وبتنوع الهدايات، وسبل المعرفة الإنسانية، مع تنوع مصادر المعرفة الإنسانية الوحي وآيات الله المسطورة، مع الكون وآيات الله المنظورة ؛ تتكامل وتتوازن المعرفة الإنسانية ، وهذه هي نظرية المعرفة الإسلامية بينما يختل توازن هذه النظرية إذا هي وقفت في المصادر عند الكون وعالم الشهادة وحده ، وفى الوسائل وإدراك المعرفة عند العقل وحده ، أو العقل والتجربة وحدهما ، دون النقل .

فليس هناك عاقل يحكِّم العقل فيما لا يستقل العقل بإدراكه من مبادئ الشرائع والمعجزات، وكنه وجوهر وحقائق المغيبات. وليس هناك عاقل يغفل أو يتغافل عن مكانة ودور العقل في دين الإسلام. وإدراك وظيفة العقل، وميدان عمله، وحدود قدراته، هو لب الاحترام للعقل، وليس فيه انتقاص من سلطانه، الذي تألق في دين الإسلام وفكر المسلمين.

ولهذا قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: (إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب ولو

---

١ / والعقل أيضا مخلوق من مخلوقات الله تعالى شأنه كشأنها له قدراته المحدودة، وخصائصه الثابتة، فهل يطلب من العين أن تبصر ما يبعد عنها آلاف الأميال؟ وهل يطلب من الأذن أن تسمع ما يدور بين الطيور من مناجاة ؟ ، وهل يطلب من اليد أن تحمل جبلا من الجبال ؟ أو غير ذلك من أمور المحال . انظر: مقدمة كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة العكبري ١/١٧، بقلم المحقق رضا بن نعسان .

كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان، وما يكون، وما لا يكون، إذ لو كان كيف كان يكون ؟ فمعلومات الله لا تتناهى، ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى)[١].

وقال أيضا بعد أن أورد عدة أمثلة على ما تحتار فيه العقول، ولا تستطيع الوصول إلى حقيقة كنهها إلا من جهة الأدلة الشرعية قال: (وينبغي أن لا يجعل العقل حاكماً بإطلاق، وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع، بل الواجب عليه أن يقدم ما حقه التقديم . وهو الشرع . ويؤخر ما حقه التأخير وهو نظر العقل ؛ لأنه لا يصح تقديم الناقص حاكماً على الكامل ؛ لأنه خلاف المعقول والمنقول ، بل ضد القضية ... ؛ ولذلك قال : اجعل الشرع في يمينك والعقل في يسارك ، تنبيهاً على تقدم الشرع على العقل)[٢] .

والعلوم من حيث إدراك العقل لها تنقسم إلى ثلاثة أقسام[٣] :

١ – قسم ضروري لا يمكن التشكيك فيه كعلم الإنسان بوجوده، وعلمه بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الضدين لا يجتمعان.

٢ – وقسم نظري يمكن العلم به، ويمكن أن لا يعلم به؛ وهي النظريات التي يتوصل إلى العلم بها بواسطة، لا بأنفسها.

٣ – وقسم لا يعلمه البتة، إلا أن يعلم به، أو يجعل له طريق إلى العلم به؛ وذلك كعلم المغيبات عنه. ويدخل في هذا القسم الأخير أغلب مسائل الاعتقاد؛ فلا تعلم إلا عن طريق الخبر؛ إذ لا يمكن للعقول أن تستقل بمعرفة هذه المسائل، لولا مجيء الوحي بها، وبأدلتها العقلية. وما على العقل إلا فهمها وتدبرها. وأيضا فإن كثيرا من مسائل الاعتقاد – بعد معرفتها، والعلم بها عند

١/ الاعتصام للشاطبي ٢/٤٨٦.

٢ / الاعتصام للشاطبي ٢/٤٩٢ .

٣ / انظر : العقل تعريفه ، منزلته ، مجالاته ، ومداركه ، مصدر سابق .

العقول – لا تدرك العقول حقيقتها وكيفياتها، يقول ابن القيم رحمه الله: الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته، بل أخبارهم قسمان:
أحدهما: ما تشهد به العقول والفطر.
الثاني: ما لا تدركه العقول بمجردها، كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا، وكل خبر يظن أن العقل يحيله، فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون الخبر كذبا عليهم، أو يكون ذلك العقل فاسدًا، وهو شبهة خيالية، يظن صاحبها أنها معقول صريح)[١]. ولعلي أضرب هنا بعض الأمثلة:
١ – الروح: فهذه الروح التي توجد فينا، والتي توصف بصفات متعددة، منها: الوجود، والحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والصعود، والنزول، وغير ذلك. وهى مخلوقة، ومع ذلك فالعقول قاصرة عن معرفة كيفيتها، وتحديدها؛ لأنهم لم يشاهدوا لها نظيرا، قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) الإسراء: ٨٥ ، فصرف سبحانه وتعالى الجواب عن ماهيتها؛ لأنه ليس من شؤون العقل السؤال عنها ولا من مداركه، وكذلك الجنة ونعيمها والنار وجحيمها وكيفية ذلك وغيرها من الغيبيات التي ليست في متناول العقل ومداركه. قال ابن تيمية : (والناس لما لم يشهدوا لها نظيرا ، عسر عليهم التعبير عن حقيقتها)[٢]. لذلك لما سألت يهود رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عنها، لم يبين لهم ماهيتها، بل قال : هي من أمر ربي، فقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما (أن اليهود مروا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو متكئ على عسيب ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن

---

١ / الروح لابن القيم ص٦٢ .

٢ / تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٢٠٢.

الروح ، فسألوه . فأمسك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلم يرد عليهم شيئا، حتى نزل عليه الوحي)[١] .

٢ – صفات الله عز وجل: فللعقل دور في تفهم معانيها؛ لأنا بعقولنا نعتبر الغائب بالشاهد، فتبقى في أذهاننا قضايا عامه كلية، ثم إذا خوطبنا بوصف ما غاب عنا، لم نفهم ما قيل لنا إلا بمعرفة المشهود لنا[٢]، وأما حقيقة الصفات وكيفياتها: فلا يدركها العقل، مع أنه لا يحيلها؛ إذ كيف يدرك ما يفتقر إلى تصوره.

ونحن لا نعلم كيفية صفات ربنا عز وجل؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له، وتابع له؛ لذلك لما جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه؛ إمام دار الهجرة، فقال له: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كيف استوى ؟ أطرق الإمام مالك برأسه، وعلته الرحضاء[٣]، ثم رفع رأسه ، وقال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كما وصف نفسه ، فلا يقال: كيف ؟ وكيف عنه مرفوع، وقال للسائل: أنت صاحب بدعة ، وطلب من أصحابه أن يخرجوه من مجلسه)[٤] . فسبب إنكار الإمام مالك – رحمه الله – على السائل، كونه أراد أن يخوض بعقله، ما ليس في متناول عقله؛ وهو إدراك كيفية الصفة؛ لأن الرب جل جلاله لا يحيط به علما أحد من خلقه، وإن كان هذا تأويل على سبيل الإجمال.

---

١ / صحيح البخاري تفسير القرآن (٤٧٢١) ، صحيح مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٩٤) .

٢ / انظر : شرح حديث النزول لابن تيمية ص ١٠٤.

٣ / الرحضاء : عرق يغسل الجلد لكثرته .

٤ / هذا الأثر من الشهرة بحيث لا يحتاج حتى إلى تخريج فقد ذكرته جل كتب العقيدة ، ويروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها وقد صححه الألباني في مختصر العلو للذهبي ، وتخريج شرح الطحاوية .

٣ – وكذلك ما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه من أمور الآخرة؛ كالجنة ونعيمها، والنار وجحيمها، وغير ذلك من المغيبات، ليست من مدارك العقل، ولا في متناوله، مع أن العقل يقر بها، ولا يحيلها فالله سبحانه وتعالى أخبرنا عما في الجنة من المخلوقات؛ من أصناف المطاعم، والمشارب، والمناكح، والمساكن؛ فأخبرنا أن فيها لبنا، وعسلا، وخمرا، وماء، ولحما، وفاكهة، وحريرا، وذهبا، وفضة، وحورا، وقصورا، وقد قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء)[١] . أما الكيفية فمختلفة، ولا طاقة للعقل في إدراك كيفية هذا النعيم المقيم، الذي أعده الله للمتقين، مع أن وجوده لا يتعارض معه بحال .

يقول العلامة السفاريني[٢]:(ومما يوضح ذلك أن العقول لو كانت مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه ، لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وإنزال الكتب ، واللازم باطل بالنص ، قال تعالى : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا }، وقال تعالى: { وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى } ، فكذا الملزوم ، فلما بعث الله الرسل ، وأنزل الكتب ، وجبت لله على الخلق الحجة البالغة ، وانقطعت علقة الاعتذار ، { فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ } ،{ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ

---

١ / أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١/٢١٠، مصدر سابق .

٢ / شمس الدين ، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، المتوفى : ١١٨٨هـ، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٦/١٤ .

حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } ، ولما عجزت العقول من طريق الفكر عن معرفة الحق التي هي وراء طورها ومنحها القبول ، وقد أنزل الكتاب ، وأنزل فيه ما حارت في إدراكه العقول من الآيات المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله ، أمرنا الشارع بالإيمان بها ، ونهانا عن التفكير في ذات الله رحمة منه بنا ، ولطفا لعجزنا عن إدراكه ، فإن تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة ، ونصب من غير عائدة ، وطمع في غير مطمع ، وكد من غير منجع ...)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان هذه الوسطية، وبيان منزلة العقل: ولما أعرض كثير من أرباب الكلام والحروف، وأرباب العمل والصوت، عن القرآن والإيمان : تجدهم في العقل على طريق: كثير من المتكلمة يجعلون العقل وحده أصل علمهم ، ويفردونه ، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له . والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن.

وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل . ويمدحون السكر والجنون والوله وأمورا من المعارف والأحوال

---

١ / لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية لشمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ١/١٠٥، نشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م

التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها ممن لم يُعلم صدقه.

وكلا الطرفين مذموم ، بل العقل شرط في معرفة العلوم ، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل ؛ لكنه ليس مستقلا بذلك ؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين؛ فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها.

وإن عزل بالكلية : كانت الأقوال والأفعال مع عدمه : أموراً حيوانية قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل : ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة . والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأت بما يُعلم بالعقل امتناعه. لكنِ المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها، لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقا، وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به. والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم)[١].

فالإسلام إذن منع العقل من الخوص فيما لا يدركه ولا يكون في متناول إدراكه؛ لأنه محدود الطاقات والملكات فلا يستطيع أن يدرك كل الحقائق مهما أوتي من قدرة وطاقة على الاستيعاب والإدراك، لذا فإنه سيظل بعيداً عن متناول كثير من الحقائق وإذا ما حاول الخوض فيها التبست عليه الأمور

١ / مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٨/٣ .

وتخبط في الظلمات وفي هذا مدعاة لوقوعه في كثير من الأخطاء وركوبه متن العديد من الأخطار.

والمقصود أن العقل في الإنسان كغيره من الصفات الكمالية، فهي وإن كانت كمالاً في حق الإنسان، إلا أن لها حدوداً لا تتجاوزها، وأقداراً لا تتخطاها، فالإنسان ذاته مخلوق، وصفاته كذلك يعتريها ما يعتري المخلوق من القوة والضعف والخور، والوجود والعدم.

المبحث السادس: درء تعارض العقل والنقل :

مشكلة تعارض العقل والنقل مشكلة قديمة، ظهرت أوّل ما ظهرت بشكل جادّ في الفكر الإسلامي عند ترجمة الفلسفة اليونانيّة [١]، ذلك أنّ تلك الفلسفة كانت مبنية على ما يسمى بالمنطق الصوري، الذي يعطي التأمل العقلي المحض إمكانات أكبر بكثير مما يستحقه .

كان اليونان يعتقدون أن العقل وحده مصدر المعرفة اليقينية، ولا يرون حدوداً لإمكانياته، وكان من أخطائهم الكثيرة في هذا المجال استخفافهم بكل مصدر آخر للمعرفة غير العقل حتى المصدر الحسي ، والتأمل في الكون ، والسير فيه لجمع المعلومات والاستقراء العلمي[٢] .

حصل هؤلاء الفلاسفة بهذه المناهج على معارف بعضها صحيح، والكثير منها زائف لا قيمة له . عندما ترجمت هذه المناهج والمعارف بهرت كثيراً من

١/ ترجمت كتب اليونان في عهد الخليفة العباسي المأمون عندما بنى لها دار الحكمة في بغداد ، وكان لها الأثر الكبير في ظهور الكثير من القضايا الجدلية التي كانت الأمة منها في عافية من قبل ، ومن ثم ظهرت العديد من الطوائف والفرق في هذه الأمة ، وانشغلت الأمة بالرد على بعضها بعضا ، فأهدرت الطاقات ، وبددت العقول في قضايا انصرافية ، الأمر الذي انعكس سلبا على مسيرة الأمة الحضارية ، واستفادتها من معطيات هذا الكون الذي استخلفها ربها فيه ، ونتج عن ذلك تخلف الأمة وانحطاطها ، وسيرها خلف الأمم بعد أن كانت هي صاحبة القيادة والريادة ، انظر : أثر ترجمة كتب الفلاسفة على المسلمين للشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي من محاضرة : نشأة وتأريخ المذاهب العقدية على موقع الشيخ الحوالي http://www.alhawali.com .

٢/ انظر : ما قاله ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه تلبيس إبليس حيث عقد فصلا كاملا ذكر فيه تلبيس إبليس على الفلاسفة ومن تابعهم ، تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٤٣ .

أبناء المسلمين الذين لم تكن لديهم الكفاية في المعرفة بالعلم المادي ولا العلم الشرعي.

ومن هنا جاءت المشكلة: إذا تعارض العقل والنقل فأيهما نقدم ؟ ! ويقصدون بالعقل: مناهج البحث اليونانية ومجموعة المعارف الحاصلة منها .

هنا تفاوتت أجوبة هؤلاء الدارسين للتراث اليوناني بين معجب غاية الإعجاب بهذا التراث ، ومستخفٍّ غاية الاستخفاف بكل شيء يخالفه أو يختلف معه ، وهؤلاء قد بالغوا في الركون إلى الفلسفة اليونانية ، حتى لقد جرؤ بعضهم على التصريح بأن الوحي إنما هو لعامة الناس الذين تقصر ملكاتهم العقلية عن الوصول إلى المعارف اليقينية عن غير طريق الوحي ، أما الذين يملكون هذا الاستعداد فهم في غنى عن هذا الوحي.

وقد اتفق علماء الإسلام على أنّ من قال بمثل هذا القول أو اعتقد مثل هذه العقيدة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

وكان لفريق آخر رأي مختلف؛ حيث رأى بعض المتكلمين أن الوحي مصدر للمعرفة، كما أن العقل مصدر للمعرفة، فإذا تعارضا فإنه يقدم العقل باعتباره أصلاً للنقل؛ لأن الإنسان آمن بعقله أولاً، ثم تابع الوحي بعد ذلك. وهؤلاء أرادوا دفع شبه الخصوم من اليهود والنصارى، وغيرهم بمحض الحجج العقلية دون اعتبار لنصوص الوحي زعما منهم أن الوحي خال من ذلك، بل منهم من ادعى أن الحجاج التي جاء بها الوحي ضعيفة وقاصرة، بل قد يأتي عليها النقض بخلاف الحجاج العقلية، فالدليل العقلي قطعي، والسمعي ظني؛ لذا عند تعارضهما يجب تقديم العقلي مطلقا، فردوا البدعة بالبدعة ، والباطل بمثله

حتى أحدثوا في دين الله تعالى ما لم يكن أحد من خصومهم يتصور بلوغه[١] .

وعلى رأس هذه الطائفة الفخر الرازي حيث يقول فيما سماه بالقانون الكلي: (إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية ، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل ، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية ، أو نحو ذلك من العبارات ، فإما أن يجمع بينهما، وهو محال؛ لأنه جمع بين النقيضين ، وإما أن يردا جميعا ، وإما أن يقدم السمع وهو محال ؛ لأن العقل أصل النقل فلو قدمناه عليه ؛ كان ذلك قدحا في العقل الذي هو أصل النقل ، والقدح في أصل الشيء قدح فيه ، فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا ؛ فوجب تقديم العقل ، ثم النقل : إما أن يتأول ، وإما أن يفوض ...)[٢].

وطائفة من الفقهاء والعلماء رأت أن فلسفة اليونان وكل ما صدر عنها من اعتقاد فلسفي أو نتاج علمي إنما هو زبالة أذهان البشر، لا يستحق الدرس ولا العناية، ولا خير فيه على الإطلاق، ومن يدرسه أو يتعلمه فلا ثقة في دينه فضلاً عن أن يعارض به وحي رب العالمين سبحانه وتعالى[٣].

لم تكن هذه كل الآراء في المسألة، فقد كانت هنالك طائفة رابعة أبرز من

---

(١) انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ١٦٦/١.

(٢) نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في بداية كتابه درء تعارض العقل والنقل ، وكذا بيان تلبيس الجهمية الذي ألفه أصلا في الرد على القانون الكلي للرازي الذي ذكره ضمن كتابه تأسيس التقديس .

(٣) / قال العلامة الأخضري في منظومته السلم المنورق :

والخلف في جواز الاشتغال .... به على ثلاثة أقوال

فابن الصلاح والنواوي حرما .... وقال قوم ينبغي أن يعلما

والقولة المشهورة الصحيحة.......... جوازه لكامل القريحة

مثَّلها وتكلَّم بلسانها وفصلّ رأيها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حيث لم يرفض كل النتاج اليوناني، لكنه في الوقت ذاته لم يقلل مطلقاً من قيمة النصّ الشرعي، وإنما عمد إلى مراجعة السؤال القديم من منظور جديد نفصله كما يلي: إذا تعارض العقل والنقل فهنالك عدة احتمالات : أن يكونا قطعيَّيْن ، أو يكونا ظنِّيَّيْن ، أو يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً .

في الحالة الأولى يستحيل أن يتعارض قطعي العقل مع قطعي النقل؛ وذلك لأن خالق العقل والكون هو منزِّل النص والوحي (أَلا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ) (الأعراف : ٥٤) ، (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ) (الملك : ١٤) ، وهذه كانت أبرز وأخطر إضافات الشيخ رحمه الله إلى هذه القضية الجدلية القديمة .

أما في الحالة الثانية، فإذا تعارض القطعي مع الظني قُدّم القطعي سواء كان عقلياً أو نقلياً، ولنضرب أمثلة على هذه الحالة لأهميتها:

١/ كان من المسائل العقلية الظنية فيما سبق الاعتقاد بأن الشمس ثابتة والأرض تدور حولها، وكان هذا الظن مخالفاً لقطعي النصّ الذي يقول: (والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا) (يس : ٣٨) ومن ثم يجب رفض هذا الظن العلمي الذي ثبت بطلانه بعد التقدم العلمي .

أما عن ظني النصّ الذي يتعارض مع قطعي العلم فهو ما فهمه بعض الناس من قول الله تبارك وتعالى: (واللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً) (نوح : ١٩) أن الأرض منبسطة مستوية ، بينما قطعيات الحسّ والعلم تفيد بأن الأرض كرويّة ، ومن هنا قُدِّم هذا القطعي على الظني علماً بأن هنالك

نصوصاً ظنية الدلالة تفيد بأن الأرض كروية، مثل قوله تعالى : (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ويُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ)(الزمر : ٥) ، وقوله سبحانه: (والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) (النازعات : ٣٠) .

هذا عن الحالتين الأوليين، أما عن الحالة الثالثة، فإن الشيخ يقول: إذا كان العقل والنقل ظنيين قُدِّم أكثرهما رجحاناً وقرائن ، عقلياً كان أو نقلياً ، فكُلّ ما ثبت من مسائل العقيدة في الكتاب ، والسنة ، يصدقها العقل الكامل الصحيح الذي يُستخدم بدقةِ وإمعانٍ ؛ لأن العقل الصريح في دلالته على المراد ، لا يمكن أن يخالف المنقول الصحيح الثابت ؛ لأن العقل والنقل وسيلتان لغايةٍ واحدةٍ ، هي الوصولُ إلى الله ، والوسائل التي تؤدِّي إلى غايةٍ واحدةٍ لا يمكن لها أن تتعارض .

حيث قال: (المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط ، وقد تأملت ما تنازع فيه الناس ، فوجدت ما خالف النصوص الصريحة شبهات فاسدة يُعلم بالعقل بطلانها ، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع ، وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار ، كمسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر ، والنبوات ، والمعاد ، وغير ذلك . ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه السمع، والذي يقال إنه يخالفه: إما حديثٌ موضوعٌ، أو دلالةٌ ضعيفةٌ، فلا يصلح أن يكون دليلًا لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول ! ونحن نعلم أن الرسل لا يُخبِرون بمحالات العقول، بل

بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته)[١] .

هكذا بيسر وسهولة حل الشيخ المعضلة القديمة حلاً يريح القلب، ويرضي العقل دون أن يقلل من هيبة النص، ولا يضعف من مقدرة العقل؛ فرحمه الله رحمة واسعه.

ومما ينبغي أن يعلم: إن المقابلة بين العقل والنقل؛ هي أثر من آثار الثنائيات المتناقضة التي تميزت بها المسيرة الفكرية للحضارة الغربية، تلك التي عرفت لاهُوتًا نقلياً، لا عقلانيًا، فجاءت عقلانيتها في عصر النهضة والتنوير الوضعي العلماني ثورة على النقل اللاعقلاني ونقضًا له.

أما في الإسلام، والمسيرة الفكرية لحضارته وأمته – وخاصة في عصر الازدهار والإبداع – فإن النقل لم يكن أبدًا مقابلاً للعقل؛ لأن المقابل للعقل هو الجنون، وليس النقل؛ ولأن النقل الإسلامي – الوحي – هو مصدر العقلانية المؤمنة، والباعث عليها، والداعي لاستخدام العقل والتفكر والتدبر في آيات الله المنظورة والمسطورة جميعًا، وآيات القرآن التي تحض على العقل والتعقل تبلغ تسعًا وأربعين آية، والآيات التي تتحدث عن اللُّب – بمعنى عقل وجوهر الإنسان – هي ست عشرة آية. كما يتحدث القرآن عن النُّهى – بمعنى العقل – في آيتين، وعن الفكر والتفكر في ثمانية عشر موضعًا، وعن الفقه والتفقه – بمعنى العقل والتعقل – في عشرين موضعًا، وعن التدبر في أربع آيات.. وعن الاعتبار في سبع آيات، وعن الحكمة في تسع عشرة آية، وعن القلب

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/٩٦ .

كأداة للفقه والعقل – في مائة واثنين وثلاثين موضعًا.. ناهيك عن آيات العلم والتعلم والعلماء التي تبلغ في القرآن أكثر من ثمانمائة آية[١]، فالنقل الإسلامي – أي الشرع الإلهي – هو الداعي للتعقل والتدبر والتفقه والتعلّم.. والعقل الإنساني هو أداة فقه الشرع، وشرط ومناط التدين بهذا الشرع الإلهي.. ولذلك لا أثر للشرع بدون العقل، كما أنه لا غنى للعقل عن الشرع، وخاصة فيما لا يستقل العقل بإدراكه من أمور الغيب وأحكام الدين.

فالإسلام لا يعرف – على الإطلاق – هذه الثنائية المتناقضة بين العقل والنقل.. وصريح المعقول لا يمكن أن يتعارض مع صحيح المنقول، وعلى هذا فإن الدين قد يأتي بشيء يعلو على الفهم، إلا إنه لا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل ، ففرق بين ما يعلو على إدراك العقل ، من بعض أمور الدين ، وبين ما يستحيل في العقل الذي برئ ويبرأ منه الدين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وغيره كله حق يصدق بعضه بعضا، وهو موافق لفطرة الخلائق، وما جعل فيهم من العقول الصريحة، والقصود الصحيحة، لا يخالف العقل الصريح، ولا القصد الصحيح، ولا الفطرة المستقيمة، ولا النقل الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يظن تعارضها : من صدق بباطل من النقول، أو فهم منه ما لم يدل عليه، أو اعتقد شيئا ظنه من العقليات وهو من الجهليات، أو من الكشوفات وهو من الكسوفات، إن كان

---

١ / انظر : حقوق الإنسان لا علاقة لها بالكفر والإيمان الدكتور سالم عبدالجليل، ص٣٩ .

ذلك معارضا لمنقول صحيح، وإلا عارض بالعقل الصريح، أو الكشف الصحيح، ما يظنه منقولا عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون كذبا عليه، أو ما يظنه لفظـــا دالا علــــى شــــيء ، ولا يكــــون دالا عليــــه "[1] انتهــــى.

وقال أيضا: ما خالف العقل الصريح فهو باطلٌ . وليس في الكتاب والسنَّةِ والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعضُ النَّاس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفةُ منهم، لا من الكتاب والسُّنَّة)[2]

إذن العلاقة بين العقل والنقل؛ هي علاقة تكاملية، لا تعارض بينها، ويستحيل التعارض بين العقل والنقل القطعيين، والنقل منه ما هو ظني ومنه ما هو قطعي، وكل المصادر منها ظنية ومنها قطعية، ولا يعني وجود الظني إلغاء المصدر كله، لكن قد يحدث تعارض بين ظني وقطعي، وعندها نقدم القطعي سواء كان عقليًا أو نقليًا، إذ القطعيان يمتنع التعارض بينهما، وأما إن كانا كلاهما مصدر ظني فإنه يُصار إلى طلب ترجيح.

يقول ابن تيمية: لا يمكن أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح فإن ثبت العكس؛ فالطعن بالعقل أولى فلا يمكن رد النص الكامل بالعقل الناقص فالعلاقة بين الوحي والعقل علاقة تكامل وصريح المعقول لا يعارض صحيح المنقول[3].

---

١ / الرسالة العرشية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: ٣٥.

٢ / مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١١/٤٩٠.

٣ / ابن تيمية، درء التعارض ١/١١١.

الخـاتمة:

نحمد الله تعالى الذي أعاننا على كتابة هذا البحث في هذا الموضوع المهم وأسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأهم مستخلصات البحث ما يلي:

العقل في اللغة يطلق على معان متعددة من أهمها: الحِجْر، الجَمْع، الْحَبْس، التَثبت في الأمور، التميُّز، الفَهْم، المَسْك، الملْجَأ .

العقل اصطلاحا يطلق على أربعة معان: يطلق على الأداة الغريزية في الإنسان، وعلى العلوم التي يكتسبها الإنسان بتلك الأداة، وعلى العلوم الضرورية، وعلى العمل بمقتضى الشرع.

الصحيح في مكان العقل أنه له تعلق بالقلب والدماغ معا.

للعقل منزلته السامية والرفيعة في دين الإسلام بل هو إحدى الضرورات الخمس التي ما جاءت الشرائع إلا لتحصيلها وتكميلها.

العقل مخلوق من مخلوقات الله تعالى له مداركه المحدودة، ومجالاته المعلومة، وأنه في حاجة ماسة إلى الوحي ليهتدي به إلى كامل الصواب، وخاصة في قضايا الإيمان بالغيب.

العقل في قضايا العقيدة غير ملغي تماما، كما أنه لا يعتمد عليه وحده في معرفة كل ما يتعلق بها بل يستعان بالعقل في فهم نصوص الشرع وأمور العقيدة، وهي بفضل الله تعالى ليس فيها ما يناقض العقول السليمة.

لا يوجد أي تعارض بين القواطع النقلية الشرعية، والعقلية، وما قيل في ذلك إنما هو مجرد وهم والشريعة لا تأتي بما تحيله العقول، وإنما تأتي بما تحتار فيه العقول.

لا توجد ديانة كرمت العقل، ورفعت من شأنه مثل دين الإسلام. وما أشيع أخيرا من أن تعاليم الإسلام لا تتماشى ومقتضى العقل إنما هي مجرد دعوى من مغرضين لا يسندها الواقع ولا العقل السليم.

أهم المراجع :

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري، تحقيق رضا بن نعسان.

٢. الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد

٣. الأذكياء للإمام ابن الجوزي، نشر: مكتبة الغزالي.

٤. الاعتصام للإمام الشاطبي، نشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

٥. الإيمان لمحمد عبد الله الشرقاوي.

٦. البداية والنهاية لابن كثير، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٧. البرهان في أصول الفقه، لإمام الحرمين الجويني، دار الأنصار القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

٨. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية .لشيخ الإسلام ابن تيمية ط/ المطبعة الحكومية ، مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٣٩١هـ .

٩. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلي أبي الحسن الأشعري لابن عساكر الدمشقي.

١٠. التذكرة الحمدونية لابن حمدون، نشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

١١. تفسير القرآن العظيم للابن كثير، دار طيبة للنشر، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

١٢. تفسير سورة الإخلاص لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٣. جامع البيان في تفسير القرآن للإمام الطبري، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٤. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، نشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .

١٥. الجامع للإمام محمد بن سورة الترمذي، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

١٦. حقوق الإنسان لا علاقة لها بالكفر والإيمان الدكتور سالم عبدالجليل، دار البشير للثقافة والعلوم

١٧. درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى / ١٤٠٣هـ .

١٨. الديباج المذهب في أعيان المذهب لابن فرحون المالكي ، القاهرة دار التراث ١٩٧٢م.

١٩. ذم تقديم العقل على النقل لبدر بن عبد الله بن عبد الكريم ، دار طيبة الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٢٠. الرسالة العرشية لشيخ الإسلام ابن تيمية طبع: إدارة الطباعة المنيرية.

٢١. سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصرالدين الألباني ، مكتبة المعارف الرياض .
٢٢. سلسلة الأحاديث الضعيفة ، لمحمد ناصرالدين الألباني ، مكتبة المعارف الرياض .
٢٣. سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين الذهبي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م .
٢٤. شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٢٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، نشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٢٦. صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .
٢٧. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري .
٢٨. طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب السبكي .
٢٩. العقل وفضله لابن أبي الدنيا، ضمن الجزء الرابع من موسوعة ابن أبي الدنيا، المحقق: فاضل بن خلف الحمادة الرقي، الناشر: دار أطلس الخضراء – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م .
٣٠. الفتوى الحموية البرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى .
٣١. فصل المقال في ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال لابن رشد ، دار المعارف المصرية ١٩٧٢م .

٣٢. القاموس المحيط للفيروز أبادي، لناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

٣٣. الكامل في التاريخ لابن الأثير، الناشر: دار الصادر بيروت، تاريخ الطبع: ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥ م .

٣٤. لسان العرب لابن منظور، نشر: دار المعارف، القاهرة .

٣٥. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لعلامة السفاريني ، مؤسسة الخافقين ـ دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

٣٦. مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ، لابن القاسم ، ط/ إدارات البحوث العلمية ، والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية .

٣٧. المستصفى من علم الأصول للإمام الغزالي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٨. معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت الحموي ، القاهرة دار المأمون ، الطبعة الثانية .

٣٩. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، دار الجيل ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٤٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والإرادة لابن القيم، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.

٤١. مقارنة الأديان لأحمد شلبي .

٤٢. منظومة السلم المنورق في علم المنطق للعلامة الأخضري .

٤٣. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان بن علي حسن ، مكتبة الرشد ـ الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ .

٤٤. الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

الدوريات والمواقع الإللكترونية :

مجلة البحوث الإسلامية ـ السعودية الرياض .

مجلة البيان ـ المنتدى الإسلامي لندن

مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

مجلة جامعة أم القرى ـ السعودية مكة المكرمة .

موقع الإسلام اليوم .

موقع الشبكة الإسلامية .

موقع الشيخ سفر الحوالي .

موقع صيد الفوائد .

موقع طريق الإسلام .